الأسلوب الحكيم
في خطاب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام
من الهامش إلى المتن «مقاربة تداولية»

م.د. أمل سلمان حسان

وزارة التربية / مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى/ معهد الفنون الجميلة

The Wise Style in the Discourse of Imam al-Hasan ibn Ali (peace be upon them) From the Margin to the Text: A Pragmatic Approach

Asst. Prof. Amal Salman Hassan

Ministry of Education, Baghdad Education Directorate, Karkh InInstitute of Fine Arts

ملخص البحث

يسعى هذا البحث نحو محاولة ردّ الاعتبار لأسلوب بلاغي أصيل، عانى من التهميش والتجاهل والإقصاء شأنه شأن المباحث البلاغية الأخرى التي صُنفت ضمن علم البديع، ذلك العلم الذي عُدَّ في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب من متممات البلاغة فهو ضرب من التحسين والتنميق ليس إلا، ومن ثم بالإمكان الاستغناء عنه من غير أن يحدث خللًا في تركيب الكلام، على الرغم من تماسه المباشر بالقضايا اللغوية والتداولية.

ومن هنا حاولنا النظر إلى هذا -الأسلوب الحكيم- من زاوية تداولية بوصفه صنوًا للمعنى لا طلاءً للشكل، متخذين من خطاب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام منطقة للاشتغال والإجراء.

الكلمات المفتاحية:

الأسلوب الحكيم، إشكالية المصطلح، الاستلزام الحواري، الخطاب الحسني، العلاقات الدلالية.

Abstract

This study seeks to restore the prestige of an authentic rhetorical style that has suffered from marginalization, neglect, and exclusion, as have other rhetorical disciplines classified as the science of rhetoric. This science, considered in Arab rhetorical and critical thought to be an integral part of eloquence, is merely a form of refinement and embellishment. Hence, it is possible to dispense with it without disrupting the structure of speech, despite its direct connection to linguistic and pragmatic issues. Hence, we have attempted to view this wise style from a pragmatic perspective, as a counterpart to meaning rather than a coating of form, taking the speech of Imam al-Hasan ibn Ali (peace be upon them) as a focus of engagement and practice.

المهاد الفكري:

شهد منتصف القرن العشرين تحولات لغوية وأدبية واسعة، جاءت بفضل ما قدمته الحقول المعرفية الجديدة، من قبيل، الأسلوبية، والتداولية والسيميائية واللسانيات النصية من مصطلحات وأدوات إجرائية.

وقد نجح باحثون كثر في الربط بين البلاغة العربية والدرس الأسلوبي اللساني[١]، فنال علم البديع النصيب الأوفر من تلك الدراسات[*] بوصفه "أعظم كشوفات البلاغة القديمة، على الرغم ممّا لقيته مباحثه من اعتراضات تزيفها أحيانًا وتظهرها بوصفها عامل إفساد للدرس البلاغي والنقدي أحيانًا أخرى"[٢]، فالمتأمل لمباحث هذا العلم يلحظ أن أغلب مباحثه ولاسيما تلك المباحث التي صُنفت ضمن البديع المعنوي، تتماس مباشرة مع قضية المعنى وظلال المعنى، وهي من القضايا اللغوية الكبرى التي عالجتها المناهج الغربية الحداثوية، إلا أنّها بقيت تعاني التهميش والإقصاء في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب مع أنَّ شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، كان أوّل من لفت الانتباه إلى هذه القضية عندما طرح نظريته في النظم. فقد وعى الجرجاني مبكراً طبيعة العلاقات بين المعاني الثواني التي تتوارى خلف المعاني الحرفية، والتي تحتاج لقارئ فطن واعٍ يفسرها ويؤولها كما أشار إلى العلاقات الذهنية والنفسية التي ترتب المعاني قبل التأليف بينها وقبل عرضها على السامع[٣]، فالاستدلال عليها لا يكون لغويًا فحسب بل هناك استدلال منطقي يعتمد على ثقافة المتلقي، الذي من المفترض فيه أن يكون على علم بالظروف التي أدّت إلى إنتاجها ومدى مطابقتها لمقتضى الحال.

وكذلك نجد السكاكي (ت٦٢٦هـ)، أشار إلى قضية المعنى وظلاله، عندما ميّز بين ثلاثة مستويات من الدلالة، وهي دلالة الوضع أو المطابقة، ودلالة التضمين ثم دلالة

الإلتزام، ويتم الإشتغال بين هذه الدلالات من طريق إعمال العقل[٤]، فالمعنى عنده على وفق هذا التقسيم إمّا أن يكون حرفيًا لا يحتاج إلى إعمال الفعل، وأمّا أن يكون ضمنيًا يستدل عليه من المعنى الحرفي، وإمّا أن يكون مستلزمًا لا يرتبط بالمعنى الحرفي للعبارة، فيتولد إزاء ذلك ظاهرة عُدت حاليًا من أهم الظواهر اللغوية التي ميزت أبحاث التداوليين، تلك هي ظاهرة الاستلزام الحواري، التي بحثها العلماء العرب لكنهم لم يقفوا عليها طويلًا ولم يحللوا عناصرها وأدواتها، ربما يعود ذلك إلى أن أغلب مباحث البلاغة العربية "دارت داخل حدود الجملة الواحدة وكان امتدادها خارج حدود الجملة نادرًا "[٥].

تأسيسًا على ما سبق، وجدنا أن ما سمّي عند التداوليين بفعل العلاقات التخاطبية بـ(الاستلزام الحواري)، نجده بُحِثَ عند البلاغيين تحت مبحث (الأسلوب الحكيم)، فكلا الظاهرتين يقومان على مبدأ النظر في استعمال اللغة خلال التخاطب، بوصفها ضربًا من الفاعلية العقلية التي تهدف إلى تحقيق الإتصال بين الناس، فالتغيير في منحى الكلام وضروبه على مقتضى الظاهر، وما يحدثه من انحراف إنّما يتم على مستوى المعنى.

ولذا اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه على وفق المحاور الآتية:

- المحور الأول: الأسلوب الحكيم وإشكاليّة المصطلح.
- المحور الثاني: الأسلوب الحكيم من الحوار إلى الاستلزام الحواري.
- المحور الثالث: طبيعة الخطاب المدروس.
- المحور الرابع: خطاب الإمام الحسن عليه السلام وإجراءاته التطبيقية.

المحور الأول:

الأسلوب الحكيم (إشكالية المصطلح):

الأسلوب الحكيم: أسلوب بلاغي أصيل تناوشته سهام الغبن والتهميش على الرغم من تعدد شواهده وكثرة دورانه في الكلام العربي، ولاسيما نسبة ورود شواهده في

القرآن الكريم وقد اصطبغ منذ ولادته بصبغة أخلاقية بإضافته إلى الحكيم، مكّنه من التجذر في البلاغة العربية، إذ كان العرب يستعملونه لأغراض مختلفة ترجع إلى قصد صاحبها من قبيل التهكم والسخرية، والتخلص من الإحراج، وتقديم المهم...الخ، وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أنّه طالته رياح الاختلاف ولحقته أوهام الخلط، ولم تنجُ من ذلك حتى تسميته، إذ يعدُّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، أول من أشار إليه في كتابه (البيان والتبيين) تحت تسمية (اللغز في الجواب)، وقال عنه في باب حديثه عن الكلام الذي "يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه"[٦].

ثم جاء العلوي (ت٣٤٩هـ)، فأطلق عليه (المغالطة) وكان أوضح من الجاحظ عندما قيّده بقوله: "وهو أن تسأل عن شيء تعلمه موهمًا أنّك لا تعرفه وأنّه مما خالجك فيه الشّك والريبة، وهو مقصد من مقاصد الاستعارة يبلغ به الكلام الذروة العليا، ويحله في الفصاحة المحل الأعلى"[٧].

وأما السكاكي فتحدث عن هذا الأسلوب في سياق حديثه عن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، وسماه (الأسلوب الحكيم)، وعرّفه بقوله: "هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب"[٨]، وكان ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) أوّل بلاغي ابتدع تسميته (القول بالموجب) وتبعه فيها بعض البلاغيين من قبيل ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، وقد لخص الموقف محقق كتاب (بديع القرآن) السيد حنفي محمد شرف بقوله: يرى بعض العلماء أن هذا النوع يعني -القول بالموجب والأسلوب الحكيم- الذي تكلم عنه الجاحظ في بيانه نوع واحد، والحقيقة أن الأسلوب الحكيم يخالف القول بالموجب، فإنهما وإن اتفقا في أن كلاً منهما يعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، فإنهما يفترقان بحسب الغاية والنتيجة، فإن غاية الأول ردّ كلام المتكلم، وعكس معناه، وغاية الثاني هو تلقي المخاطب

بغير ما يترقب بجعل كلام المتكلم على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى[٩].

وما تراه الباحثة أن الفارق بين كلا الأسلوبين ضئيل يمكن أن يتلاشى نهائيًا بحسب السياق ومقصدية المؤلف وإن تعددت التسميات ووجهات النظر.

ولم يتوقف الأمر فيما يخص هذا الأسلوب البلاغي عند اختلاف المصطلح بل نجد أن التسمية ذاتها التي استقر عليها الفكر البلاغي والنقدي عند العرب وهي تسمية السكاكي (الأسلوب الحكيم)، قد نالها من الاختلاف ما نال أخواتها السابقات، فنجدها تأتي مرة بالتنكير لكلمة (أسلوب) وتعريفها بالإضافة إلى الحكيم، فتصبح الدلالة هنا بنسبة الحكمة إلى المتكلم، ونجدها تأتي مرّة أخرى، بتعريف الكلمتين معًا (الأسلوب الحكيم)، فيكون الوصف بالحكمة للكلام أو للأسلوب نفسه.

وكذلك لم يستقر الأسلوب الحكيم، ضمّن علوم البلاغة الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) حيث أبى أن يأوي إلى إحداها، وإنما تنازعته منها اثنان من بين تلك العلوم الثلاثة، إذ نسب في بداياته إلى علم المعاني، وليته بقي هناك، إنّما دخل دائرة التجاهل والتهميش عندما تميز علم البديع، إذ ألحقوه به، وجعلوه ضمن المحسنات المعنوية.

وعلى الرغم من تعدد تعريفاته في كتب البلاغة فإن تعريف السكاكي يُعدُّ من أولى التعريفات، وقد تلقى جمهور البلاغيين هذا التعريف بالقبول. حيث جمع بين نوعي ذلك الأسلوب، وقد شرح القزويني ذلك التعريف وأوضحه بقوله: "تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له "[١٠].

فقد يخاطبك إنسان أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلاً إلى الإعراض عن الخوض

في موضوع الحديث، أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجز من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه من الأجدر به أن ينصرف عنه لما هو أهم وأنفع وأجدى، ومنها أنك تخالف مُحدِّثك في الرأي ولا تريد أن تحرجه وفي تلك الحال وأمثالها تصرفه في شيء من اللياقة عن الموضوع الذي هو فيه، إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى[١١].

ومن المهم الإيضاح أن هذا الأسلوب بغض النظر عن اختلاف مسمياته يقوم على وجود أركان ثلاثة تدخل في صُلب العملية التخاطبية وهي:

١- سائل ومجيب.

٢- الإجابة بغير ما يترقب السائل.

٣- مراعاة الأولى والأجدر مجال السائل.

وليس بالضرورة أن يأتي هذا الأسلوب على صورة جواب وسؤال إنَّما هذا أحد أشكاله، فقد يجيء في السياق وبحسب الخطيب القزويني على صورتين آخريتين[١٢]، أحدهما أن تقع صفة في كلام غير كناية عن شيء أُثبت له حكمٌ، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرّض لثبوت ذلك الحكم له أو في انتفائه عنه وثانيهما، حمل لفظ وقع في كلام غيره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه.

وبهذا نجد النظرة الدونية التي مست هذا الأسلوب، فزيادة على -اختلافهم في المصطلح- نجدهم لم ينظروا إليه في إطار المنظوم الفكري له ولا في إطاره الحديث بوصفه أسلوبًا تداوليًا حجاجيًا يدخل في إطار الدراسات التي تناولت قضيّة المعنى وظلاله ولاسيما ظاهرة (الاستلزام الحواري) التي عُدَّت الركيزة الأساسية التي قامت عليهما الدراسات التداولية فيما بعد.

المحور الثاني:

الأسلوب الحكيم من الحوار إلى الاستلزام الحواري:

يمكن النظر إلى هذا الأسلوب

على أنه يمثّل ظاهرة طبيعية تشترك بها جميع اللغات الإنسانية، فهو يؤسس لنوع من التواصل (الضمني) أو غير المعلن، بحجة أن المستمع يسمع كلامًا، ويفهم غير ما سمع، كما أنَّ المتكلم يقول كلامًا وربما يقصد به معنى آخرًا، ومن ثم، نجد أن هذا الأسلوب يشكل حلقة وصل بين المعنى الحرفي الأصيل، والمعنى المتضمن في شكل الجملة، بشرط مراعاة ارتباط المعنى بسياق الإنجاز، فلا تتقيد بصورها الظاهرية فقط، الأمر الذي يستوجب إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم.

وبهذا الفهم، أي الانتقال من المعنى المعلن إلى المعنى الضمني يكتسب (الأسلوب الحكيم) بُعدًا تداوليًا لأنّه يدخل في نطاق (الدرس التداولي)، فالحمولة الدلالية للعبارة اللغوية، في مثل هذه الحالة يمكن أن تصنف على صنفين: "الصنف الأول يشمل المعاني الصريحة، وهي تلك التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها، أما الصنف الثاني فتضم المعاني الضمنية، أي تلك التي لا تدل عليها صفة الجملة ذاتها، وإنّما تولد طبقًا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها، وعليه، ففي اللغة المتداولة تحت تأثير أهداف تواصلية محددة قد نستعمل جملة ما قاصدين معنى جملة أخرى، ومن ثم يتم الانتقال من معنى مباشر صريح إلى معنى غير صريح أو مستلزمًا حواريًا"[١٣].

وبهذا فإن (الأسلوب الحكيم) يمثل الوجه الآخر لأسلوب تداولي، عدَّ المرتكز الأساس الذي قامت عليه النظرية التداولية، وهو ما سمي بـ(الاستلزام الحواري)، وذلك لاشتراكهما في عدد من الخصائص والعناصر الحوارية، فكلاهما يدرسان اللغة في الاستعمال ويرجعان إلى الدلالة العقلية، وفي هذا المجال ركّز التداوليون على الكلام الذي يمكن أن نستنتج من معناه اللفظي أكثر من معنى بحسب أحوال الخطاب وقرائنه.

وعلى العموم، فإن تحليل الخطاب الأدبي تحليلًا تداوليًا بحثًا

عن الأسلوب الحكيم وفاعليته، يقتضي منا الوقوف على معنى (الاستلزام الحواري) أو التخاطبي، إذ يُعدّ اللساني الأمريكي (بول غرايس) أول من نظّر لهذه القضية التداولية، حينما ألقى محاضراته في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٧، بعنوان: الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي[١٤]، وعرّفها على أنها "عمل المعنى أو لزوم شيء من طريق قول شيء آخر، أو قل، إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءًا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[١٥]، فالمتخاطبون في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فما يُقال هو ما تعنيه العبارات والكلمات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر اعتمادًا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[١٦].

وفي مقال آخر له نشره سنة ١٩٧٥، وسَمَه بـ(منطق المحادثة) قسّم الدلالة على قسمين، دلالة طبيعية، ودلالة غير طبيعية، وتحدث عن كيفية إنتاج الخطاب وتأويله تأويلًا غير تواضعي تحديدًا، فقصد بالدلالة غير الطبيعية "أن القائل يقصد شيئًا بوساطة جملة معينة، فهو كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته"[١٧].

وهذا يعني أن غرايس يركز على القصد من الكلام، ويبحث عن نوايا المتكلم، وكيفية فهم المتلقي لهذه المقاصد خلال التواصل اللغوي الذي يتم بين المخاطِب والمخاطَب، فلكل كلام دلالة وقصد، ولكل متكلم فيه غاية ما من وراء كلامه يريد تبليغها للمستمع بطرق خاصة.

فالاستلزام الخطابي أو التحاوري على وفق هذه الرؤية "يقوم على التمييز الأساس بين ما يقال وما يستلزم خطابيًا، فالمحتوى الذي يبلغه المقول يوافق المحتوى المنطقي للقول،

أي (المظاهر الصدقية)، أمّا المستلزم خطابيًا فيحدد سلبًا بأنه ما يبلّغ بعد طرح ما يقال، بعبارة أخرى تخص الاستلزامات الخطابية أساسًا المظاهر غير الصدقية للأقوال"[١٨].

فالاستلزام الحواري بهذا المعنى، أساسه المحادثة التي تكون بين طرفين، في سياق معين، وبشروط تواصلية معينة، إذ إن العلاقة بينهما هي علاقة تؤطرها محددات اجتماعية وتفاعلية.

وقد وضع غرايس مجموعة من القوانين التي يجب أن يلتزم بها المتخاطبون حتى تتم عملية التخاطب القائمة على (مبدأ التعاون)، وفي حالة مخالفتها وعدم الخضوع لها لا ينجح التواصل بطبيعة الحال، وقد عدّ مبدأ التعاون هذا، من أهم الركائز الأساسية في التداولية، وأداة مهمة من أدواتها، فإن إتباع قواعده يؤدي إلى نجاح عملية التواصل وأن أيّ خرق بقاعدة من هذه القواعد يؤدي إلى العدول وخرق لقواعد عملية التواصل، هذه القواعد هي على النحو الآتي[١٩]:

١- الكم/ الكمية: وتعني أن يقدّم المتكلم القدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل، تتعلق هذه القاعدة بمقدار المعلومات أو كمّها لا بصدقها أو ملاءمتها.

٢- الصدق/ الكيف: وتعني أن يكون المتكلم صادقًا، فلا يقدم معلومات خاطئة أو لا يستطيع أن يبرهن على صحتها.

٣- الملاءمة: وتعني أن تكون معلومات المتكلم ومساهماته ملائمة للحوار، فلا تخرج عن الموضوع لأن "لكل مقام مقال".

٤- الطريقة: وتعني أن يكون المتكلم واضحًا ومنظمًا، فيتجنب الغوامض والرطانة ويخاطب الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم وخلفياتهم المعرفية.

هذه هي الشروط الرئيسة للحوار، والتي يجب على المتكلم مراعاتها في مجمل الحوارات الإنسانية والتفاعلات حتى يضمن نجاح عملية

تواصله.

ما تراه الباحثة، أن مبدأ الاستلزام الحواري هذا، ما هو إلا الامتداد الطبيعي لما رسخ في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب والذي تجسد بشكل واضح في أسلوب (الأسلوب الحكيم)، إذ ركزوا على (القصد من الكلام)، وقد حددوا كيفية الوصول إلى المقصد من الكلام بالاستعانة بمقام الكلام، وتعدوا ذلك إلى الاهتمام بالمتكلم وأكدوا على أهميته في إنجاز الخطاب وطاقاته وقدراته اللغوية، وهذا يعني أن العلماء العرب، تعرضوا إلى ظاهرة الاستلزام الحواري بوصفها شكلًا دلاليًا يظهر في الخطاب من حين إلى آخر، فضلًا عن أنهم بينوا كيفية الوصول إلى المعنى بالانتقال من الدلالة الصريحة للكلام إلى الدلالة الضمنية المستلزمة مقامًا.

المحور الثالث:

طبيعة الخطاب المدروس:

الخطاب الذي نقف إزاءه في محاولة تقريب الأسلوب الحكيم فيه تداوليًا، هو خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (ت٥٠هـ)، وهو مدونة تأريخية وفكرية وعلمية وعقائدية ضخمة ثريّة، ضمّت بين جوانبها مجالات معرفية متنوعة إذ نجد فيها الخطاب الإنساني والتربوي والأخلاقي والسياسي فضلًا عن تنوع الموضوعات الأدبية، ما بين الخطب والوصايا والحكم، والرسائل والمناظرات والمرويات، والأدعية والقبسات والشذرات، والأقوال المتفرقة، فكان من العسير جدًا الإحاطة بكل جوانب هذا الخطاب متكامل البناء متماسك الأجزاء، لكننا عمدنا إلى اقتباس بعضٍ منها، وتحديدًا تلك التي وجدنا فيها نوعًا من الخروج على مقتضى الظاهر منطقة اشتغال هذا البحث.

فمنشئ المدونة، هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سليل بيت النبوة، ورضيع لبان الحكمة، وهو سبط الرسول الأمين صلى الله عليه وآله، وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، الإمام

الثاني من أئمة العترة المطهرة بويع في (٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ)، للخلافة، بعد استشهاد والده الإمام علي عليه السلام، بايعه أهل البصرة والمدائن وأهل العراق، والحجاز واليمن وفارس ورفض البيعة معاوية بن أبي سفيان، الذي استقوى عوده بعد توليه الشام في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وبقيت بلاد الشام خارج إطار البيعة الشرعية للخليفة الجديد الإمام الحسن عليه السلام، ولم يتردد معاوية عن إعلان الحرب الإعلامية والنفسية بين أمصار البيعة الشرعية للإمام، كما أخذ بتصعيد خطاب الحقد والغيرة وبث الجواسيس وإغراء الناس، الأمر الذي استوجب من الإمام الحسن عليه السلام التصدي والمواجهة، بعد أن فشلت محاولات الصلح، فكانت الكلمة سلاحه. إذ وجد نفسه إزاء قضيتين كبيرتين، إحداهما، طبيعة المجتمع وما آل إليه الناس بعد الحروب التي فرضت على والده الإمام علي عليه السلام، وهي حروب الجمل، صفين، والنهروان، وثانيهما، حرب الشائعات التي قادها معاوية، فضلًا عن أساليبه الماكرة في الإغراء والتهديد والوعيد، الأمر الذي أدّى إلى زعزعة المجتمع الكوفي بشكل عام وجيش الإمام الحسن عليه السلام بشكل خاص.

هذه الأساليب وغيرها دفعت الإمام إلى فضح سياسة معاوية وأنصاره، فانبرى عليه السلام في خطبه ومناظراته ووصاياه ورسائله إلى كشف مخططاتهم وتوضيح فساد منهجهم وشططهم وابتعادهم عن خط الإسلام الصحيح، محاولًا إصلاح أمّة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، وردّها عن غيّها، وإنقاذها من الحيرة والضلال، ولاسيما أنّه درس طبيعة المجتمع حوله دراسة وافية جعلته يدرك أنّه مجتمع مريض شكّاك لا يفرّق بين الخير والشر أو بين المصلح والمفسد، تقوده أهواؤه ونزعاته ورغباته، فكان واعيًا خطورة المرحلة التاريخية التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي، الأمر الذي دفعه إلى أن يعقد الهدنة مع معاوية ويوقع الصلح حقنًا لدماء المسلمين وحفاظًا على دين

الإسلام، يقول طه حسين ملخصًا الموقف: "فقد سخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه، وأخلصوا في بغض معاوية وأهل الشام ورأوا في هذا الصلح نوعًا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوه أيام علي عليه السلام من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان في أيديهم من قوة، فمنهم من كان يقول للحسن، يا مذل المؤمنين، ومنهم من كان يقول له: يا مذل العرب، ومنهم من كان يقول له: يا مسوّد وجوه العرب، ولكن الإمام الحسن عليه السلام لم يحفل بشيء من ذلك، وإنما رضي عن خطته كل الرضا، فرأى فيها حقنًا للدماء ووضعًا لأوزار الحرب، وجمعًا لكلمة الأمة، وتمكينًا للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين، ومتفقين لا مفترقين"[٢٠].

كل هذه الأسباب وغيرها، صيرت خطابه وأنضجته، فجاء حجاجيًا قائمًا على الأدلة العقلية والنقلية، متنوع الحجاج ما بين الحجاج التقويمي، والحجاج التربوي والوعظي والحجاج العقائدي وغيرها.

فالقارئ المتأمل في طبيعة مضامين هذا الخطاب وموضوعاته، يجد أن الإطار العام له، متنوعًا ومتشعبًا، فمرة يكون في تقرير أحقية الخلافة وفضل أهل البيت عليهم السلام، كما في الخطب الأولى، ومرة يأتي في تحفيز الناس وتعبئتهم للقتال، ومرة في نعي الإمام علي عليه السلام، ومرّة في بيان أسباب جنوحه للسلم والهدنة مع معاوية، ومرة في هجاء وتقريع أهل الكوفة، ومرة يأتي في الرد على من يحاول استفزازه، ولكن ما إن يُقرأ مجمل خطابه، حتى نلمس أنه يدور حول فكرة محورية يرتكز عليها، ألا وهي أحقية الإمام علي وبنيه في الخلافة، بل لو أن الناس أطاعوهم وأطاعوا الله ورسوله، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمة سيفان.

المحور الرابع:
الإطار التطبيقي:

لما كان الأسلوب الحكيم يقوم

على مراعاة مقتضى الحال بخروج الكلام على مقتضى الظاهر، فما يحدثه من انحراف إنما يتم على مستوى المعنى، وذلك أن المخاطب حين يتوقع معنى معينًا ويفاجيء بإجابة تنحرف إلى معنى آخر، نتيجة لاختيار لم يتوقعه، هذا العدول في الإجابة ما هو إلا انتهاك لإحدى قواعد مبدأ "التعاون" الذي تقوم عليه ظاهرة الاستلزام الحواري، إذ تنتقل بموجبه العبارة اللغوية من معناها إلى المعنى المستلزم، وقد برزت هذه الظاهرة في كثير من أقوال الإمام الحسن عليه السلام، من ذلك نقف على أشهر خطاب له قاله في الكوفة، ردًّا على معاوية بن أبي سفيان، عندما حاول النيل من الإمام عليه السلام، ومن نسبه الشريف الطاهر مستفزًا إياه، لكن الإمام كظم غيضه وردّ عليه بخطاب مؤدب يقف بالضد من ضحالة خطاب معاوية قائلًا: "أيّها الذاكر عليًا أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمّك هند، وجدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرًا، وآلأمنا حسبًا وشرفًا قديمًا وحديثًا"[٢١]، إذ كان معاوية يتوقع أن يكون ردّ الإمام بمستوى تردي خطابه، إلا أن خُلق الإمام، وركازة عقله، سحب معاوية إلى نقطة جعلته قاب قوسين أو أدنى من الإهانة والسقوط، فوجّه بأسلوبه الحكيم سلوك معاوية وأنصاره، نحو هدف معين وهو الحؤول من دون وقوعهم في الضلال وانحراف عقيدتهم إلى الحضيض، والنكوص نحو كفر الجاهلية، والاتجاه نحو باطل معاوية، فانتهاك الإمام مبدأي (الكم والكيف) واختزل الرد بإقامته موازنة نسبية واجتماعية وإيمانية بينه وبين معاوية ليصل إلى اللعن من يستحقه بالفعل لا بالقوة، وعلى النحو الآتي:

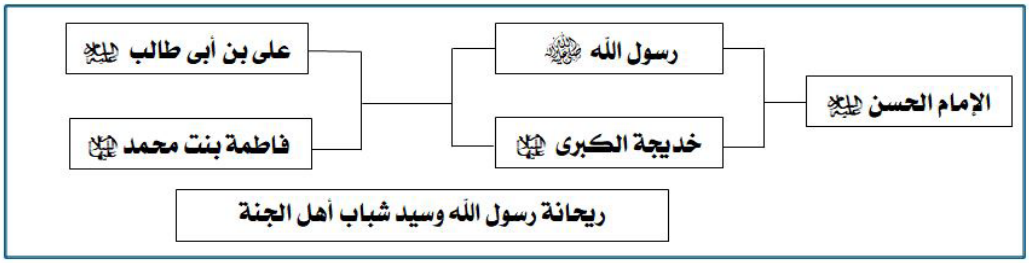

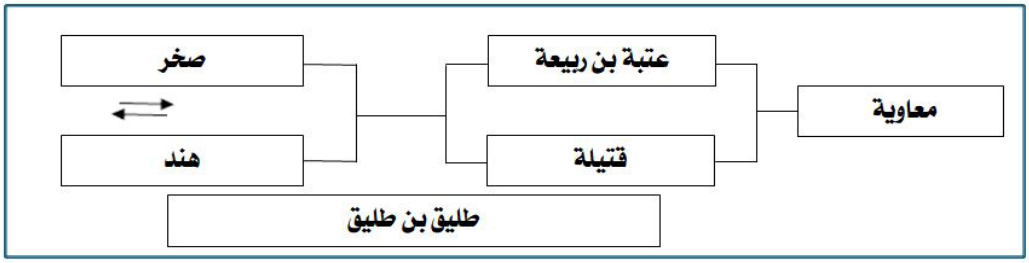

وقد راعى الإمام عليه السلام حال معاوية وأصحابه وحاجتهم إلى التذكير لعلهم يرجعون عن غيهم فعمل على إقامة الحجة عليهم بالدليل النسبي والاجتماعي والإيماني.

فالسياق المقامي التبليغي يمكن رسم مخطط له على النحو الآتي:

- المبلِّغ: الإمام الحسن عليه السلام.
- المبلّغ: معاوية وأنصاره.
- قناة التبليغ: خطبة للإمام الحسن في الكوفة.
- البلاغ: التذكير بنسب الإمام عليه السلام لعلّ الذكرى تنفع المؤمنين.
- المستوى الدلالي: إقامة الحجة بالدليل النسبي والاجتماعي والإيماني عندما نال معاوية من الإمام علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام.
- المستوى الضمني: ما معاوية سوى طليق بن طلقاء، أما العترة المطهرة، فهم آل البيت عليهم السلام، المطهرون من الأرجاس والأدناس.

وقد وضّح الإمام في أكثر من خطاب وقول، برنامجه السياسي الذي سيسير عليه ويبيّن أسباب قبوله الهدنة مع معاوية والمصالحة بعد أن كثر اللغو واللغط فنجده عليه السلام يوجز تارة ويطنب تارة أخرى، ويوظف أدلة عقلية ونقلية محاولًا بذلك سدّ الأفواه، والقضاء على

براثن الفتنة لإصلاح أمّة جدّه ﷺ بعد أن خرجت على طريقه، فنقرأ له: "أيّها الناس إنّ الله هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن هذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله عزَّ وجلَّ قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء:١١١]"(٢٢).

المتأمل بهذه الخطبة يلحظ توظيف الإمام الأدلة العقلية والنقلية لإقرار الحجة، وهذا يدخل من باب الاستدلال بإقرار المعنى وتثبيته، وهذه هي الصورة الأولى من صور الأسلوب الحكيم، وهي أن تقع صفة في كلام الباث كناية عن شيء أثبت له الحكم، وقد قام هذا الخطاب على عنصرين، أحدهما، هو نقل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي، والآخر، تطبيق القول الذي يتعلق بالجانب التهذيبي، لدفع الضرر وجلب المنفعة فالاستدلال في هذا القول لم يكن استدلالًا لغويًا تدل عليه الجمل: إنّ الله هداكم بأوّلنا/ وحقن دماءكم بآخرنا.

فلربما يجهل السامع، من الأول، والآخر، ويشتبه عليه الأمر، بل اعتمد الإمام الحسن عليه السلام الاستدلال المنطقي، ثقة منه بمن عاصرهم ويعرف حقيقتهم، والظروف التي دفعت به إلى قبول الهدنة مع معاوية، فينتقل المعنى من المعنى الحرفي للعبارات اللغوية إلى معنى الاستلزام، موظفًا عددًا من اللوازم التي أسهمت في إعطاء المصداقية لخطابه عليه السلام بقوله: إن هذا الأمر مدة والدنيا دول.

وعزز ذلك باستدلال نقلي من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

وقد جاء السياق المقامي التبليغي على النحو الآتي:

- المبلِّغ: الإمام الحسن عليه السلام.
- المبلَّغ: جمهور الناس عامة.
- قناة التبليغ: خطبة للإمام، لتذكير الناس وتهدئتهم.
- البلاغ: تطمين الناس وزرع الإيمان والثقة بإمامهم ومنهجه ومحاولة حقن دمائهم، من حرب لا طائل منها.
- المعنى المتضمن، تعزيز شحذ الهمم

بالقيم والتعاليم الإسلامية، والتحذير من الركون إلى الباطل، والاعتبار من التاريخ، فهذا الأمر لن يستمر والدنيا متقلبة.

وعلى الرغم ممّا عاناه الإمام الحسن عليه السلام، من أعدائه الذين شنوا عليه حملات تشويه لشخصيته ومكانته، وما واجهه من أصحابه بعد صلحه مع معاوية من ألفاظ وأقوال غير لائقة، إلا أن حِلْمه وتسامحه قد أذهل الجميع، وقد اشتهر عليه السلام بـ"حليم أهل البيت"، نقرأ في سبيل المثال، ردّ الإمام على من تجاسر عليه، حيث "روي لمّا تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعًا إلى الشام، أتاه سليمان بن صُرَّد الخزاعي(*)، وكان غائبًا عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن عليه السلام فتجاسر عليه فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن عليه السلام: وعليك السلام اجلس! لله أبوك.

قال الراوي: فجلس سليمان وتكلم بما تكلم فسكت، ثم تكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقولون: ابعث سليمان بن صُرد وابعثنا معه، ثم ألحقنا إذا علمت أنّا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلقه فتكلم عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب وما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم سلكنى، أشهد الله وإياكم أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم، حتى يستريح من برّ، أو يستراح فاجر، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيلي الأمر، فو الله لو سرنا إليه بالحبال والشجر ما شككت أنه سيظهر أن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

وأما قولك يا مذل المؤمنين، فو الله لئن تذلوا وتعافوا أحب إليّ من أن

تغروا وتفتنوا..."[٢٣].

المتأمل لهذا النص، يلحظ حِلْم الإمام وتأدبه، وهو يقف موقف المسائَل والمحاسَب، فالسياق المقامي التبليغي جاء على النحو الآتي:

- المبلِّغ: الإمام الحسن عليه السلام.
- المبلَّغ له: الأعداء والأصحاب (من تطاول عليه).
- قناة التبليغ: خطاب مباشر.
- البلاغ: عقد الهدنة مع معاوية لحكمة اقتضاها الله ورسوله وآل بيته، وهي حقن دماء وإصلاح ذات البين.
- ولأن المرحلة التي هادن بها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، معاوية بن أبي سفيان، تُعدُّ من أحرج مراحل حياة الإمام وأكثرها حساسية وأشدها تعقيدًا، وقد غدا صلح الإمام من أهم الأحداث في التاريخ الإسلامي، فنجد هذه المدة مشبعة بالخطب والأقوال التي حاول فيها الإمام توضيح سياسته وبيان أثرها البعيد، فمن كلامه عليه السلام بعد الصلح.
- فالإمام الحسن عليه السلام، انتهك الكم والكيف وعدل عن جواب سليمان بن صُرَّد، وهو سيد أهل العراق ورأسهم، هو وأتباعه بعدما وصفوه بـ(مذل المؤمنين، ومسوّد الوجوه وسيّد العار)، لحكمة يقتضيها الموقف، وتلقاهم على خلاف ما يتوقعون بحمل كلامهم على خلاف المراد تنبيهًا على أنه الأوْلى بالقصد.
- المعنى المتضمن: عدم ثقة الإمام بأهل العراق وتحديدًا أهل الكوفة، وتطمين شيعته وإصلاح ذات بينهم، والرضا بقضاء الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، فالمذلة مع المعاناة أهون من الغرور والقتل، وإن هذا الأمر مُدّة، والدنيا دول.

روي أن أبا سعيد قال: قلت للحسن بن علي يا ابن رسول الله، لِمَ هادنتَ معاوية وصالحته؟ وقد علمت أن الحق لك دونه، وأن معاوية ضال باغٍ؟!

فقال: يا أبا سعيد ألستُ حجة الله -تعالى ذكره- على خلقه وإمامًا عليهم بعد أبي؟ قلت بلى.

قال: ألست الذي قال رسول الله ﷺ، لي ولأخي الحسين: إمامان قاما أو قعدا، قلت: بلى، قال فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدتُ.

يا أبا سعيد علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد إذا كنت إمامًا من قبل الله تعالى ذكره لِمَ يجب أن يسفه رأيي فيما أثبته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسًا ألا ترى الخضر لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار سخط موسى فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليَّ بجهلكم لوجه الحكمة فيه، ولولا ما أثبت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتِل[٢٤].

إذ يلحظ بهذا النص وغيره، محاولة تسفيه رأي الإمام الحسن عليه السلام فيما أقدم عليه، ففتح الإمام باب الحوار على مصراعيه، وأقام حواره هذا على علاقة أساسية وهي علاقة السؤال/ الجواب، تلك العلاقة الثنائية الحجاجية التي تسهم في "تشكيل نسيج الحوار داخل النص"[٢٥]، فعدّل الإمام عليه السلام من الإجابة المباشرة في الرد على أبي سعيد إلى سؤال كان الأوْلى والأجدر بسؤاله وتنبيهًا للسائل على الأهم، وقد صاغه الإمام بطريقة الاستدلال العقلي والنقلي مستعينًا بعدد من العلائق الدلالية وهي على النحو الآتي:

- علاقة السؤال:الجواب، فكلما ألقى المتكلم سؤالًا، تلقاه الإمام بسؤال آخر، كان المفترض على السائل معرفته فهو الأجدر والأهم.
- علاقة التضمين: وهي علاقة سياقية دلالية تسهم في حبك النص وتماسكه، إذ ردّد النص ثلاثة أصوات، القرآن الكريم، والحديث الشريف، وصوت الإمام عليه السلام عندما استشهد عليه السلام بحديث الرسول الكريم محمد ﷺ "الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا" واستشهد بقصة الخضر ونبي الله

موسى ﷺ، عندما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، ثم شبه موقفه بموقف جده الرسول الكريم ﷺ عندما عقد الهدنة بين أقوام اليهود، بني ضمرة وبني أشجع ولآهل مكة، حين انصرف من الحديبية على الرغم من كون هؤلاء كفار بالتنزيل.

فالمعنى المتضمن هنا، هو أن الهدنة والصلح مع معاوية كان لحكمة اقتضاها الإمام، مثلها مثل الحكمة من وراء الصلح الذي عقده الرسول الكريم ﷺ حين انصرف من الحديبية مع بني ضمرة وبني أشجع على الرغم من كون هؤلاء كفار بالتنزيل، كما أن موقفه ﷺ يشبه موقف الخضر والحكمة من وراء قتله الغلام وخرق السفينة وإقامة الجدار، وبهذا الاستدلال الحجاجي تمكن الإمام من إقامة الحجة وإقناع الجمهور، فالنص يشير إلى نصوص أخرى وحوادث سابقة، بوساطة عمليتي امتصاص وتحويل وهذا ما سماه د.محمد مفتاح بالتواتر، وقصد به، إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بالسُّنة والسلف ولقوتها الإيحائية(٢٦).

لقد قدَّم الإمام الحسن ﷺ تراثًا فكريًا يشع بآداب المخاطبة، فنجد تلوّن محاججات الإمام وتنوعها، والتدرج فيها في محاولات منه لاستمالة الخصم، لعله يثوب إلى رشده، ومن هذا القبيل نقرأ "روي أن الحسن بن علي ﷺ ، قال لحبيب بن مسلمة بعد صفين: يا حبيب ربّ مسير في غير طاعة الله، فقال له حبيب: أما إلى أبيك فلا، فقال له الحسن، بلى والله، لقد طاوعت معاوية على دنياه وسارعت في هواه، فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في دينك، فليتك إذا أسأت الفعل أحسنت القول فتكون مما قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢]، ولكنك كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]"(٢٧).

إذ نلحظ أن الإمام لم يواجه

حبيب بن مسلمة، وكان قد اشترك مع معاوية في مواجهة الإمام علي عليه السلام في موقعة صفين بفداحة عمله وقبحه، ردًا على جوابه المعاند والمستكبر عندما قال للإمام (أما إلى أبيك فلا)، بل وضعه في منطقة وسطى ما بين الهداية والضلال، لما روي عنه إنّه كان على سيرة حسنة، ولم يكن مسيرًا إنَّما مخيرًا، فلم يرجُ منه الإمام نفعًا بعد ذلك، فأقبل عليه بالدحض والإنكار بأسلوب حكيم معتمدًا على عدد من العلاقات النصية التي أسهمت في تماسك النص وتلاحمه وعلى النحو الآتي:

- علاقة السؤال/ الجواب.
- س/ يا حبيب ربَّ مسير في غير طاعة الله
- ج/ أما إلى أبيك فلا.
- علاقة الشرط/ الجزاء.

لئن قام بك في دنياك/ لقد قعد بك في دينك.

- علاقة التضاد الحاد:

قام قعد/ الدنيا – الدين/ الإساءة – الإحسان.

- علاقة الاستدلال القرآني.
- ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢]،

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤].

هذه العلاقات الدلالية وظّفها الإمام الحسن عليه السلام في الردّ على غطرسة واستكبار حبيب بن مسلمة لما بدر منه من ردّ فعل على كلام الإمام الحسن عليه السلام، ولما كان الأسلوب الحكيم يعني بالمتكلم ورد فعل المتلقي، ويمكن التوضيح على النحو الآتي:

السياق المقامي التبليغي: مقام وعظ وإرشاد وتذكير.

المبلِّغ: ← الإمام الحسن عليه السلام.

المبلَّغ: ← حبيب بن مسلمة.

قناة التبليغ: ← كلام مباشر جاء على شكل سؤال وجواب.

البلاغ: ← زجر وعتاب وتأنيب.

- المعنى المتضمن: كان الأجدر منك وأنت المعروف بحسن سيرتك ألاَّ

تخلط حسن القول مع سوء الفعل، فهذا دليل النفاق، فأنت منافق فتبوأ مقعدك من النار.

وقد جاء الأسلوب الحكيم هنا على شكل سؤال/ جواب لغايات حجاجية، إذ يمتلك هذا الأسلوب سلطة إقناعية وبيانية كفيلة بالنفاذ إلى ذهن المتلقي ووجدانه والتأثير في جميع قواه النفسية والإدراكية.

ومن جميل مواقفه عليه السلام وتمام أخلاقه نقرأ له، حينما رأى شاميٌّ الإمام الحسن عليه السلام راكبًا، فجعل يلعنه، والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام وضحك فقال: "أيّها الشيخ أظنك غريبًا ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعًا أشبعناك، وإن كنت عُريانًا كسوناك، وإن كنت محتاجًا أغنيناك، وإن كنت طريدًا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأن لنا موضعًا رحبًا، وجاهًا عريضًا، ومالًا كثيرًا"(٢٨).

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: "أشهد أنك خليفة الله في أرضه والله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحب خلق الله إليّ"(٢٩).

فكان للأسلوب الحكيم الذي خاطب به الإمام ذلك الرجل الشامي أثرًا في تغيير وجهة نظر السامع، إذ راعى الإمام حال الشيخ ولم يرد عليه باللعن والسباب كما كان يظن السامع ولكنه أقبل عليه بوجهه الباسم وخرج في كلامه عن مقتضى الظاهر، وتلقاه بغير ما يترقب، بحمل كلامه على غير ما كان يقصد إشارة إلى أنَّه شيخٌ جليل وأضله الإعلام المُغرّض على أهل البيت، فالمخاطب (الشيخ) حين يتوقع معنى معينًا ويفاجأ بإجابة تنحرف إلى معنى آخر نتيجة لاختيار لم يتوقعه، هذا الانحراف ما هو إلا انتهاك لأحد قواعد مبدأ التعاون، إذ تنتقل العبارة اللغوية من معناها الحرفي إلى المعنى

المستلزم، وبهذا الصدد نجد السكاكي يقول: "وإن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سَلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور"[٣٠] وهذا يبين أثر الأسلوب الحكيم في المتلقي إن أحسن المتكلم استعماله.

ويمكن توضيح السياق المقامي التبليغي في هذا النص على النحو الآتي:

- المبلِّغ: الإمام الحسن عليه السلام.
- المبلَّغ: رجل شامي.
- قناة التبليغ: خطاب مباشر (وعظي).

البلاغ: عدم الحكم على الأشخاص من غير معرفتهم.

المستوى المتضمن: عندما رأى الرجل الشامي الإمام الحسن فجعل يلعنه والإمام لا يرد إلى أن فرغ من السب والشتم. فلما أفرغ الرجل ما في جعبته من السب والشتم للإمام، تفرغ عليه السلام بالرد باللين والرفق والتأدب مستعينًا بعلاقة الشرط/ الجزاء، وما توفره من ثراء الدلالة، حيث تقوم هذه العلاقة بالربط بين قول شرط، وقول جزاء، لقصد الإقناع والتأثير في المتلقي، وهي تستوجب متكلمًا واعيًا يشحذ الفكر ويوقظه ويحاول ربط أجزاء الكلام.

وهو ما فعله الإمام عليه السلام وعلى النحو الآتي:

الشرط	الجزاء
- لو سألتنا/	أعطيناك
- لو استرشدتنا/	أرشدناك
- لو استحملتنا /	حملناك
- إن كنت جائعًا/	أشبعناك
- وإن كنت عريانًا/	كسوناك
- وإن كنت محتاجًا/	أغنيناك
- وإن كنت طريدًا/	آويناك
- وإن كانت لك حاجة/	قضيناها لك
- فلو حركت رحلك إلينا/	كان أعود عليك

ثم يوظف عليه السلام علاقة التعليل، وهي علاقة دلالية تعمل على حبك النص وتماسكه، فقال عليه السلام:

لأن لنا مرتعًا رحبًا/ وجاهًا عريضًا/ ومالًا كثيرًا.

فتولدت قوة إنجازية لهذا الأسلوب تمثلت في قلب قناعة

الشيخ وتغيير وجهة نظره في الإمام فبكى وقال: "أشهد أنك خليفة الله في أرضه..." فمن لوازم الحجاج عند الحسن عليه السلام، هو (الإقناع الخطابي) وهو ما أفاده الأسلوب الحكيم.

وقد جاء الخطاب الحسني قائمًا على النظرة التشخيصية العميقة، فكانت دعوته عليه السلام تؤكد على الوحدة والتآلف والمحبة، راغبًا في أن يُبعد أمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، عن شبح موت الإرادة، وموت القيم الإنسانية العليا، وقد وعى للأحداث المحيطة بالمجتمع من جهة، والمحيطة به من جهة أخرى، فكان قارئًا واعيًا للمشهد السياسي والاجتماعي ومفكرًا بارعًا في الإحاطة بنزعات النفوس، ففي سبيل المثال نقرأ عندما أتاه رجل سائلًا إياه عن رأيه في السياسة فقال: "هي أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات، فأمّا حقوق الله فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى، وأمّا حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة أمتك وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوي، وأمّا حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم فإن لهم ربًا يحاسبهم"[٣١].

فهنا الاستدلال لم يكن لغويًا دلّت عليه لفظة السياسة، إنما هو استدلال منطقي، قام على جملة من اللوازم أسهمت في توضيح المسافة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد.

فإن السائل يتوقع من الإمام أن يشرح له مفهوم السياسة بوصفها علاقة بين حاكم ومحكوم، وهي السلطة الأعلى في المجتمع، حيث السلطة والنفوذ، لكن الإمام عدل في الجواب لحكمة أرادها مخترقًا مبدأي الكم والكيف، مستعيناً بعلاقة الإجمال والتفصيل، وهي عند علماء الدلالة "إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها من طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"، فقد أجمل الإمام

القول في السياسة ثم فصّل، وعلى النحو الآتي:

نجد تداخل علاقة الشرط/ الجزاء

إن الإخلاص لولي الأمر ← مرتبطًا بإخلاص ولي الأمر لأمته.

إن محاربة ولي الأمر في ماله ← حياده عن الطريف السوي

ثم يفصّل عليه السلام القول في حقوق الأموات:

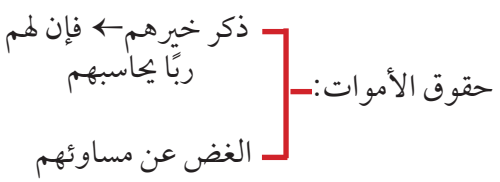

فالإمام هنا راعى مقتضى الحال بخروجه عن مقتضى الظاهر، فعدل عليه السلام عن الجواب لحكمة شريفة أراد إيصالها، إذ أجاب عن سؤال السائل بغير ما يترقب تنبيهًا له على أنه الأجدر والأنفع.

وقد ترك الإمام الحسن عليه السلام نصوصًا خالدة تتحدى الزمن، حشدها بطاقات إقناعية وحجاجية راغبًا في أن يُعوّد الناس على التأمل والتدبر ومعرفة الصحيح من السقيم، فمن ضمن خطابه الوعظي والإرشادي، نقرأ له.

أنه لما أتاه رجل من الأثرياء فقال له: "يا ابن رسول الله، إني أخاف من الموت، فقال عليه السلام: ذاك لأنك أخرت مالك، لو قدمته لسرك أن تلحق به"[٣٢].

فحوّل الإمام سؤال السائل إلى ما هو أهم من معرفة حقيقة الموت وهو شرح كيف يمكن أن يكون الموت سهلًا لينًا، فالأغنياء دائمًا ما يخافون

الموت، لأنهم عمروا دنياهم، وخربوا آخرتهم، فالسياق المقامي التبليغي جاء على النحو الآتي:

- المبلِّغ: الإمام الحسن عليه السلام.
- المبلَّغ: رجل ثري.
- البلاغ: حكمة ووعظ وإرشاد.
- المستوى الضمني ← توجيه السائل إلى الإعداد للموت من طريق الزكاة والصدقات والقيام بالعبادات حتى يكون الموت سهلًا لينًا ولا خوف منه، بل هو سعادة لمن آمن وتصدق وزكى وقد وظف الإمام هنا علاقة الشرط/ الجزاء.

جزاء ==== شرط

فالسعادة في الموت تكمنُ في الصدقة والزكاة في الأموال.

ومثل هذا الخطاب نجد ما رواه جنادة بن أمية قال: "دخلت على الحسن بن علي عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي سقاه معاوية، فقلت: يا مولاي ما لك تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله: بماذا أعالج الموت؟ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون"[٣٣]، فهنا السائل توقع أن يكون الجواب من حال الإمام وهو يعالج سكرات الموت، لكنه تفاجأ بجواب لم يكن يتوقعه عندما أجابه الإمام: بماذا أعالج الموت، ردّ الإمام سؤال السائل بسؤال كان الأجدر به والأنفع أن يسأله، فهو راضٍ بقضاء الله ومستقبل الموت بروح راضية مطمئنة على الرغم من أن السم الذي سُقي به قد تغلغل إلى كبده الشريف.

ثم عزز الإمام ذاك السؤال باستدلال نبوي شريف عندما قال: "والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إمامًا من ولد علي وفاطمة ما منا إلا مسموم أو مقتول".

وحوّل سؤال السائل إلى آخر غيره عندما قال له قتادة: عظني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣٤].

فالتغيير في منحى الكلام في الأسلوب الحكيم، وخروجه عن مقتضى الظاهر وما نجده من انحراف

إنما يتم على مستوى المعنى، فالمخاطب حين يتوقع معنى معينًا ويفاجأ بإجابة تنحرف إلى معنى آخر نتيجة لاختيار لم يتوقعه، هذا الانحراف ما هو إلا انتهاك لقواعد مبدأ التعاون التداولي، إذ تنتقل العبارة اللغوية من معناها الحرفي إلى المعنى المستلزم، وإذا كان الاستلزام الحواري يُعنى بأطراف الحوار فالأسلوب الحكيم يُعنى بالمتكلم ورد فعل المتلقي.

خاتمة البحث:

سعت وريقات البحث هذا نحو محاولة إعادة النظر في أسلوب بلاغي أصيل ظل حبيسًا للدراسات المعيارية، شأنه شأن أغلب مباحث البلاغة العربية، فقد صُنف في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب ضمن البديع المعنوي الذي يضفي على الكلام التحسين والتزيين بعد اكتمال الدلالة، حيث بالإمكان الاستغناء عنه من دون أن يحدث خلل في تركيب الكلام، على الرغم من أهميته القصوى وتماسه المباشر بقضايا تمس المعنى من قبيل، قضية المعنى وظلال المعنى التي عُولِجتْ في الفكر التداولي تحت ما سُمي بـ(الاستلزام الحواري)، متخذين من خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ميداناً للاشتغال والإجراء، بوصفه خطابًا مكتملًا دلاليًا وظّف فيه الإمام الحجج العقلية والنقلية، فعدّ خطابًا تداوليًا بامتياز، وقد خرجت الدراسة بعدد من النتائج نوجزها على النحو الآتي:

١- تعددت شواهد هذا الأسلوب البلاغي (الأسلوب الحكيم) في كلام العرب وتنوعت بحسب المقام والحال وسياق الكلام، فقد استعمل في أغراض مختلفة مثلت انتهاكًا للعملية التخاطبية، من قبيل السخرية، والتهكم، والتخلص من الإحراج، وتقديم المهم، إلا أن رياح التهميش والإقصاء نالته بسمومها، ولم ينجُ منها لا في وظيفته ولا في تسميته ولا حتى في هويته، فتنقل من علم إلى آخر، ومن تسمية إلى أخرى، إلى أن استقر تحت تسمية (الأسلوب الحكيم) عند

السكاكي وحُددت عناصره ما بين متكلم (سائل) ومستمع (مجيب)، والإجابة بغير ما يترقب، شكلت فيما بعد هذه العناصر الأساس الذي تقوم عليه العملية التخاطبية.

٢- الخطاب الذي حاولنا، تقريب أسلوب الحكيم فيه تداولياً هو خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهو مدونة تأريخية عظيمة، ضمّت بين جنباتها الخطب والوصايا والأدعية والشذرات والقبسات والمواعظ والحِكم، والأقوال المتفرقة، ولذا قمنا باختيار نماذج من هذه المدونة وحللناها تداولياً، فرأينا مقدرة الإمام الحسن عليه السلام في إدارة العملية التواصلية بما يخدم مقاصده، وبما يفيد منه جمهوره، إذ وظّف عليه السلام الأسلوب الحكيم، نحو غاية واحدة وهي التأكيد على برنامجه السياسي المتبع من جهة، وإقامة الدليل على أحقية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة ومن بعده ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام من جهة أخرى، فكان خطابه عليه السلام، يشعُّ بآداب المخاطبة حليماً رؤوفاً مع أعدائه قبل الأصدقاء، يتدرج عليه السلام في محاججاته، ويتلقى مخاطبيه بغير ما يترقبون، إما بترك السؤال والإجابة عن سؤال أهم أو بحمل الكلام على غير ما يقصدون، موظفاً من أجل هذه الغاية عدداً من العلائق الدلالية التي أسهمت في سبك خطابه وحبكه، من قبيل الإجمال والتفصيل، والشرط والجزاء، والسؤال والجواب، وعلاقة التعليل وغيرها.

٣- وظّف الإمام الحسن عليه السلام في خطابه الأدلة العقلية والنقلية لإقرار الحجة وإقامة الأدلة، وهذا مما يدخل تحت باب الاستدلال بإقرار المعنى، وهذه هي الصورة الأولى من صور الأسلوب الحكيم، وهي أن تقع صفة في كلام الباث كناية عن شيء أُثبت له الحكم، وعلى الرغم ممّا عاناه الإمام عليه السلام وما لقيه من سباب وشتائم من الأعداء والأصدقاء، ممّن شنوا عليه حملات لتشويه مكانته وشخصيته وتضليل الأفكار وتزييف الحقائق، إلا أن حِلْمه وتسامحه أذهل الجميع،

وأسلوبه اللين المنطقي أفحمهم، الأمر الذي أخرجه في كثير من المواقف من الإحراج والعصبية وقد وجد في الأسلوب الحكيم خير ملاذٍ نحو إعادة توجيه خطابه بما يخدم مقصديته.

٤- مثّل هذا الأسلوب المعادل الموضوعي لما سمي في الدراسات التداولية بـ(الاستلزام) الحواري، فكلاهما يدرسان اللغة في الاستعمال ويرجعان إلى الدلالة العقلية، أي الكلام الذي يمكن أن تستنتج من معناه اللفظي أكثر من معنى بحسب أحوال الخطاب وقرائنه.

٥- عرف العلماء العرب أهمية هذا الأسلوب وأثره في قضية المعنى وظلال المعنى.

ففي شواهدهم ما يوحي أنهم أدركوا ظاهرة الاستلزام الحواري التي تقوم على العبارات اللغوية التي تدل على معانٍ حرفية، وأخرى ضمنية يحدد دلالتها السياق الذي وردت فيه، وهذا ما مثّله (الأسلوب الحكيم)، ولكن على الرغم من تلك المعرفة إلا أنهم لم يطوروا منهجًا واضحًا لكشف النصوص ودراستها، بسبب اعتمادهم على الشواهد المتفرقة والأمثلة المجتزأة، وقد كان لبول غرايس الفضل في تنظير هذه الظاهرة في الاستعمال اللغوي. وحاول غرايس تقديم تفسير لعدم مطابقة معنى المتكلم لدلالة الخطاب المنطقية أو الحرفية بأن المتكلمين في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون وهذا ما وجدناه في الأسلوب الحكيم.

الهوامش:

١- يُنظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية:٢٢٤-٢٢٥.

٢- ينتظم البحث هذا ضمن مشروع علمي عكفت الباحثة فيه على الخوض في محاولة إحياء مباحث علم البديع، وقد نشرت في هذا المجال المؤلفات الآتية:

- الأساليب البديعية من منظور اللسانيات النصية، دار ديموزي (تموز)، دمشق، ط١، ٢٠١٧.

- علم البديع من التحسين إلى اللسانيات النصية (بحث)، مجلة تسليم، العتبة العباسية المقدسة، ع ٨٠٧ كانون الأول، ٢٠١٨م.

- تجاهل العارف في الخطاب الحسيني (مقاربة نصية) (بحث)، مجلة دراسات تربوية المحكمة، وزارة التربية، ع٥٣ كانون الثاني، آذار، ٢٠٢١م.

- المذهب الكلامي في الخطاب السياسي الديني(مقاربة حجاجية) (بحث)، مجلة تسليم، العتبة العباسية المقدسة، ع ٢٥، مجلد١٣، آذار ٢٠٢٣م.

٣- بناء الأسلوب في شعر الحداثة:٨٠.

٤- يُنظر: دلائل الإعجاز:٤٠.

٥- يُنظر: مفتاح العلوم:٤٠٥.

٦- بناء الأسلوب في شعر الحداثة ١٠٩.

٧- البيان والتبيين:٢/ ٢٨١.

٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٣/ ٨٠.

٩- يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٦-٢٨٧.

١٠- بديع القرآن: هامش ص٣١٤.

١١- الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٩٤.

١٢- يُنظر: البلاغة الواضحة:٢٩٥.

١٣- يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٦-٢٨٧.

١٤- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات التوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها: ١٥.

١٥- يُنظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس:١٦.

١٦- يُنظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس:٧٨.

١٧- يُنظر: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر في اللغة والأدب: ١٨٧.

١٨- يُنظر: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل): ٥٣.

١٩- القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٦٥-٢٦٦.

٢٠- يُنظر: التداولية والحجاج (مدخل ونصوص): ٢٠.

٢١- الفتنة الكبرى:٢/ ١٨٥-١٨٦.

٢٢- بحار الأنوار:٤٤/ ٤٩.

٢٣- رسائل المقريزي:٦٢، ويُنظر: كشف الغمة:١/ ٥٣٤، وقد وردت الخطبة بألفاظ متفاوتة متقاربة في ذات المعنى.

٢٤- (*) اختلفت الأخبار في شأن هذه الشخصية، فمنهم من قال: إن الذي دخل على الحسن وقال له ذلك هو سفيان بن ليلى، يُنظر: في الأخبار الطوال:٢٢٠، ومنهم من قال إنه: سفيان بن الليل البهمي، يُنظر: فتوح ابن الأعثم:٤/ ٦٦، ومنهم من قال هو أبو عامر سعيد بن النتل، يُنظر: في البداية والنهاية:٨/ ٢٠.

٢٥- بحار الأنوار:١/ ، ويُنظر: القرشي، حياة الإمام الحسن: ٢/ ٢٧٢.

٢٦- علل الشرائع:١/ ٢١٢.

٢٧- لسانيات النص، النظرية والتطبيق: ١٥٠.

٢٨- يُنظر: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص):١٣٤.

٢٩- الاستيعاب من هامش الإصابة: ١/ ٣٢٨.

٣٠- بحار الأنوار:١٠/ ١٨٢، ويُنظر: أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:٣٦.

٣١- بحار الأنوار: ١٠/ ١٨٢.

٣٢- مفتاح العلوم: ٢٨٦.

٣٣- يُنظر: مجموعة ورام: ٣٠١.

٣٤- تاريخ اليعقوبي:٢/ ١٢٦.

٣٥- كفاية الأثر:٢٢٦، ويُنظر: جواهر التاريخ: ٢/ ٢١٧.

٣٦- يُنظر: كفاية الأثر:٢٢٦، ويُنظر: جواهر التاريخ:٢/ ٢١٧.

المصادر والمراجع:

١- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، أدراوي العياش، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠١م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)،مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ-١٩١٠م. نشر بهامش كتاب الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد بن باقر بن محمد تقي المجلسي، وزارة الإرشاد الإسلامي، د.ط.د.ت.

٥- البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، د.محي الدين ديب ستو، د.علي أبو زيد، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

٦- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٠٤هـ)، تقديم وتعليق، د.حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٧- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، د.محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

٨- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧،

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أحمد بن إسماعيل (ابن يعقوب) بن جعفر بن ذهب بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـ)،دار صادر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

١١- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين وآخرون، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢- التداولية والحجاج (مدخل ونصوص)، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣- تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر المعروف بـ(مجموعة ورّام أبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت٦٠٥هـ)، قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٤- دلائل الإعجاز، الشيخ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، مطبعة المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٥- رسائل المقريزي، الشيخ أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي، تحقيق رمضان البدري، أحمد مصطفى قاسم، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، علوم حقائق الإعجاز، السيد يحيى ابن

حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٣٤٩هـ)، دار الكتب الخديوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٢٢هـ.

١٧- علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

١٨- علم البديع بين التأصيل الذاتي والتطبيق الواقعي، د.محمود عبد الله محمد صيام، مطبعة ، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩- في الأخبار الطوال، أبو صنعة أحمد بن داوود الدنيوري (ت٢٨٢هـ)، دار إحياء الكتب العربية، ترجمة وتحقيق: د.عمر فاروق الطباع، ١٤٤٥هـ-١٩١٢م.

٢٠- في البلاغة العربية، الأسلوبيات اللسانية، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.

٢١- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن روبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين مجذوب، مراجعة خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، ٢٠١٠م.

٢٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة، بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي (ت٦٤٣هـ)، بيروت، لبنان، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٣- كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر، الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (ت٤٠٠هـ) تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني، الخوئي، ١٤٠١هـ.

٢٤- لسانيات النص، النظرية

والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجًا، ليندا قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٥- المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، (د.ط)، (د.ت).

٢٦- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك المشهور بابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، تحقيق د.حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، بمصر، د.ط،د.ت.

٢٧- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨١م.

٢٨- نظرية المعنى فلسفة بول غرايس، د. صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.